إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الحادية عشرة ـ العدد الرابع والأربعون ـ شتاء ١٤٠٠ش/كانون الأول ٢٠٢١م
20.1001.1.22516573.2022.11.44.3.0
صص ٧٢ ـ ٥٧

قــراءة تاريخانية جديدة للمســرحيات الشــعرية العربية المعاصرة؛ مصرع كليوباترا نموذجا

ابراهيم حسنى*
جواد يعقوبى‌درابى (الكاتب المسؤول)**

الملخص

يعتقد المؤرخون الجدد أنه يجب دراســة العمل الأدبى فى ســياقه التاريخى وهذا يعنى أن العمل الفنى، يتأثر بظروف زمانه، ويلعب دوراً فى سياق معين، ويدوّن بتأثير من الخطابات المختلفة مؤثراً بدوره فيها. كما يعتقدون أنه علي الرغم من إدراكهم لتأثير العمل الأدبى علي المجتمع وظروف زمانه، لا يمكن أبدًا إعادة بناء الماضى كما كان، ولكنهم يعتقدون بناءً علي آراء دريدا أن كل ما تبقي من الماضى هو فى شكل النص ومن خلال التعامل بين النص الذى وصل إلينا من الماضى وخطاب عصرنا الحاضر، يتم تقديم مفهوم جديد لذلك النص. وفقاً لذلك، كانت القوة موجودة دائماً كعلاقة فى قلب التاريخ وكانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالخطاب السائد وبقية الخطابات فى كل عصر. لذلك، من خلال الأعمال المدوّنة فى كل فترة، يمكن تحقيق منظور علاقات الســلطة فى ذلك الوقت، وبطريقة أولى، يمكن الوصول إلى معنى وهدف الكتابة إلى حد ما. قدّم أحمد شــوقى فى قصيدته متأثراً بظروف عصره صورة لعلاقات القوة. لفهم العمل الذى تركه لنا أحمد شوقى، تتم دراسة علاقات القوة فى هذه المســرحية وفقاً للنهج التاريخى الجديد ونظريات ميشيل فوكو. يقول فوكو: «حيثما توجد قوة، توجد مقاومة»، ويصف المواجهة بين القوة والمقاومة بأنها عملية ثنائية متناقضة (binary operation). فى دراسة هذا العمل، تظهر مواجهة القوة بين شخصيات المسرحية – كليوباترا والرومان وكليوباترا والقيصر والعلاقات بين مصر وروما من منظور السلطة. ومن أهم إنجازات هذا البحث، إظهار تأثير علاقات القوة علي مصير الشخصيات فى هذا العمل، ودور المرأة فى الشرق ومكانتها فى العلاقات الناتجة عن القوة (السلطة).

الكلمات الدليلية: أحمد شوقى، القوة، المقاومة، التاريخانية الجديدة، ميشيل فوكو.

*. خريج اللغة الإنكليزية وآدابها، فرع كرج، **جامعة آزاد الإسلامية**، كرج، إيران
Literature.ibrahim83@gmail.com
. أستاذ مساعد فى اللغة الإنكليزية وآدابها، فرع كرج، **جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران
yaghoobi.kiau@gmail.com

تاريخ الاستلام: ١٤٤١/٠٦/٢١ق تاريخ القبول: ١٤٤٢/٠١/٠٩ق

المقدمة

تسعى التأريخانية الجديدة إلى شرح معنى العمل الأدبى من خلال الأدب، ومن خلال التاريخ وفهم تاريخ المجتمع والسياسة والثقافة والأحداث التى يشهدها ذلك المجتمع فى كل فترة أو على الأقل توضيح جوانب منه. يرى المؤرخون أن النص، سواء كان أدبياً أو غير أدبى، فهو نتاج عن زمان ومكان وظروف المجتمع. وأنهم بصرف النظر عن الميزات التقنية والقيمة الجمالية أو شكل النص وبنيته، فإنهم يدرسونه فى سياقه التاريخى. وهذا يعنى أن قيمه الفنية والجمالية لن تساعد فى فهم العمل بمعناه التاريخى، ولكن إيجاد الظروف التى تحكم المجتمع والعوامل الواضحة والخفية التى تؤثر على تكوين الأفكار فى العمل بمساعدة العمل نفسه أو الأعمال وغيرها من الكتابات الأدبية وغير الأدبية، كلها تعدّ أموراً مهمّة من وجهة نظر مدرسة النقد هذه. لا يؤمن المؤرخون الجدد بإعادة بناء وفهم الماضى تماماً كما حدث، ولأنهم يؤمنون بأن الماضى، ليس سوى نصوص دوّنت حول الماضى (فكرة دريدا) ونحن نقوم فقط بصياغته[1]. ومن خلال الجمع بين النص الأدبى مع النصوص الأخرى (الأدبية وغير الأدبية) ودراستها المتبادلة والمقارنة، يمكننا الحصول على هوية جديدة (أو تفسير جديد) للنصّ، ولا تسعى هذه المدرسة النقدية بالضرورة إلى اكتشاف الماضى كما حدث بالفعل. لذلك، يمكن القول إنه من خلال التعرّف على السياق الاجتماعى والسياسى وخصائص السلطة فى زمن أحمد شوقى وأيضاً من خلال معالجة نفس القضية فى زمن مصر القديمة (فترة كليوباترا)، يمكن الحصول على صورة لعلاقات القوة (السلطة) وأشكالها فى خلق العمل.

يصوّر ميشيل فوكو السلطة على أنها مجموعة معقدة من العلاقات. يعتقد أن السلطة هى قضية واسعة الانتشار[2]. أى يمكن العثور عليها فى أى وقت ومكان. السلطة فى تفاعل تبادلى مع الخطاب؛ بطريقة تشكلها وتتشكل بواسطتها.

ووفقاً لفوكو، فإن السلطة تعمل كنسيج للعلاقات ويجب تفسير العلاقات الإنسانية على أساس القوة. وفقاً لنيتشه، فهو يرى القوة على أنها تعدّد القوى فى علاقة "أنا

1. Textualize
2. ubiquitous

والآخر" الجدلية. ووفقاً له، فإن القوة تشـّكل أولاً العلاقات بين الأفراد وثانياً، الذات والموضوع (بهيان، ١٥) يعتقد فوكو أيضاً أن الدولة هى المؤسسة الوحيدة التى تتجسّد فيها السلطة فى نهاية المطاف، فى حين أنها متجذرة بعمق فى نسيج المجتمع ويمكن العثور عليها حتى فى العلاقات الرومانسية. ومن ثم، يجب البحث عن جذور السلطة فى نسيج المجتمع. إنه لا يركز على كيفية اكتساب القوة، بل يركّز على كيفية ممارستها وتأثيرها على الذات والموضوع. (Smart, 1994:9)

لكن القوة لها جانب آخر يمكن أن يكون مفيداً فى فهم علاقات المجتمع وفى التعرف على القوة نفسها، وهو المقاومة. «لا توجد قوة أو سلطة لا تخلق مقاومة ضد نفسها.» (Said, 1994) يقترح فوكو أشكالاً مختلفة من المقاومة لدراسة القوة من منظور الإشراف العقلانى: النساء مقابل الرجال، والأطفال مقابل الوالدين، والمختلّين عقلياً مقابل المحللين النفسيين، وما إلى ذلك. ولا يعتبر أن هذه النضالات مرتبطة بدولة أو أرض معينة، ولكن فى رأيه، هذا النوع من العلاقات موجود فى كل مكان وهو يعتبره عالمياً. (أشرف نظرى، ١٣٩٠ش: ٣٥١) بهدف التحرر من قيود الهيمنة وتحقيق تعريف موضوع (الذات)، يستخدم ثلاثة أشكال من النضال ضد الهيمنة (الإثنية والدينية والاجتماعية) والاستغلال أو ضدّ ما يقيد الفرد وبالتالى يجعله يستسلم، يصنّف فوكو السلطة إلى ثلاثة أنواع: السلطة السيادية، والسلطة التأديبية، والسلطة الحيوية[1]. لكل نوع من أنواع السلطة سماته الخاصة، فمثلاً القوة السيادية هى قوة تحدّ من السلوك وتقيده، وفى هذا النموذج من الهيمنة القسرية يكون لها دور بارز فى العقاب والعنف لتحقيق أهداف الهيمنة والمقاومة والصمود (ليلجا وآخرون : ١١٢) وفى هذا النموذج من الهيمنة، تكون المقاومة صعبة للغاية بل مستحيلة لأن نموذج القوة هذا ليس شكلاً من أشكال القوة ولكنه شبكة من العلاقات العنيفة. (المصدر نفسه: ١١٣)

الآن، فى ضوء الآراء المطروحة فى هذا المجال، نحاول الحصول على تفسير جديد لمسرحية شوقى من خلال وضع وجهة نظر مدرسة النقد التاريخانية الجديدة على طاولة البحث وفقاً لآراء فوكو حول السلطة.

1. Biopower

أغراض البحث

تشمل أهداف البحث ما يلى:

١. قراءة للسلطة مبنية على نظريات المدرسة التاريخانية الجديدة فى هذه المسرحية.
٢. دراسة المقاومة وعلاقتها بالسلطة.
٣. دراسة دور المرأة الشرقية فى السلطة.

أسئلة البحث

١. ما هى علاقات القوة فى مسرحية مصرع كليوباترا وما هو تأثير علاقات القوة أو السلطة على سلوك ومصير الأطراف المشاركة فى هذا النوع من العلاقات؟
٢. كيف تبدو مقاومة الشخصيات للسلطة والسيطرة التى تمّت؟
٣. كيف يمكن تحديد دور كليوباترا فى السلطة كامرأة؟

الفرضيات

١. توجد علاقات القوة (السلطة) نتيجة للعاطفة، وتتأثر حياة الشخصيات وسلوكياتهم ومصائرهم السياسية والاجتماعية والفردية بهذه الأنواع من العلاقات.
٢. تظهر شخصيات المسرحية مقاومتها للسلطة بطرق مختلفة.
٣. فى العصور القديمة، تولت المرأة أحياناً – وإن قلّ ذلک – السلطة السياسية فى الشرق وتم الاعتراف بها كحاكم، ولم يكن قبول الشعب لموقفها السياسى مختلفاً كثيراً عن قبوله للرجل.

قراءة جديدة للتاريخانية

التأريخانية هى، فى الواقع، مقاربة لتفسير الأعمال الأدبية وشرحها، حيث يعتبر التاريخ المجال الذى يترعرع فيه العمل الأدبى. فى الواقع، أثرت الأحداث التى وقعت فى فترات سابقة والخطاب الذى ساد فترة واحدة فى الوهلة الأولى، فى تشكيل العمل الأدبى وفى معناه على الأرجح. «وهكذا، فإن نقد التاريخانية يحقق هدفه من خلال

وضع سياق لتفسيره التعبيرَ الأدبى، ومن خلال الإشارة إلى الأحداث والخطابات المعاصرة الأخرى.» (Nisbet 21) على الرغم من اعتقاد المؤرخين أن كل ما حدث فى فترة ما، يمكن إدراكه بشكل موضوعى، وأن كل ما حدث، هو فى التاريخ لا محالة، لذا فإن التاريخ هو مصدر فهم الواقع، يعتقد التاريخانيون الجدد أنه ليس لدينا من الماضى سوى النص والكتابة، وبالتالى لا يمكن معرفة الماضى كما كان، ولكن يجب تفسير الأيديولوجية والخطاب السائد لفترة ما عقلياً. «يتفق التاريخانيون الجدد مع دريدا، فى قوله لا يوجد وجود خارجى غير ما هو موجود فى النص وبطريقة فريدة، فإن كل ما تبقى لنا عن الماضى قد مرّ بعملية ذات ثلاث خطوات: المرحلة الأولى هى الأيديولوجيا أو نفس الموقف والنظرة للعالم، والمرحلة الثانية، هى ممارسة الخطاب فى زمانه وفى زماننا، والمرحلة الثالثة هى تعرض النص للتشويه من قبل الشبكة اللغوية.» (Barry: 175) بهذه التفاصيل، إن هدف التاريخانيون الجدد لا يتمثل فى رسم الماضى، لكنهم يريدون إنشاء هوية جديدة من خلال الجمع بين العمل الفنى والوثائق والروايات التاريخية، وهو واقع جديد بحد ذاته. لذلك، فهم يعتقدون أنه من المستحيل العثور على حقيقة عمل فنى (كفهم موضوعى وحرفى للواقع الذى حدث فى الماضى). تؤمن النزعة التاريخانية الجديدة أنه فى دراسة العمل الأدبى، فإن العمل نفسه لا يقلّ أهمية عن الأعمال والأحداث غير الأدبية. من ناحية أخرى، التاريخ ليس ظاهرة منتظمة لمفكرى هذه المدرسة النقدية، حتى تبدأ مثلاً من الألف وتنتهى إلى الياء. بمعنى آخر، لا يمر التاريخ بدورة تطورية وليست سلسلة من الأحداث المتتالية، بل هو ظاهرة مجزأة ومتقطعة، ولا توجد بالضرورة علاقة سببية بين الفترات المتتالية، بحيث تكون القراءة الحديثة من النص فى عصر النهضة مختلفة عن القراءة التى استُنتج منها، وغالباً ما يمكن أن يعيد تفسير النص أيديولوجيةَ الفترة التى كُتب فيها العمل. (Belsey: 144)

من القضايا التاريخية التى يمكن تتبعها فى الأعمال المنتجة فى أى وقت، هى قضية السلطة. تواجدت القوة فى المجتمع بأشكال مختلفة على مر الزمن. تعتبر القوة كظاهرة سياسية واجتماعية وفردية مؤثرة فى تشكيل السلوك البشرى فى شكل علاقات سياسية واجتماعية وشخصية وتتشكل أثناء تفاعل البشر مع بعضهم بعضاً فى عملية خطابية.

يقدم فوكو ثلاثة نماذج للسلطة. السلطة السيادية والسلطة التأديبية والسلطة الحيوية. «السيادية هى سلطة التشريع والحظر والرقابة، وهى سلطة تستخدم القانون والأوامر شبه القانونية.» (Dean 105-106, Foucault 83-85) القوة التأديبية تشكل الموضوع وتقوم بتطبيعه، وتنمية الموضوعات بطريقة تجعلهم يفكّرون بنفس التفكير ويتحدّثون ويتصرفون بشكلٍ متشابه، ومن يختلف مع ذلک يعتبر أقلّ شأنا. (Lilja et al 109)

ووفقاً لفوكو، فإن العلاقة بين السلطة والخطاب علاقة تبادلية، وعلى أى حال، فإن السلطة تعمل من خلال الخطاب وشكل الخطاب، وتؤدى إلى خلق المعرفة. وهو على عكس الفلاسفة من قبله، لم يعتبر القوة أو السلطة مجرد ظاهرة مدمرة وسلبية، لكنه يعتقد أن السلطة يمكن أن تكون منتِجة وإيجابية ومفيدة، ولا يمكن إتباع تلک القوة إذا كانت سلبية تماماً ولم تستجب لأى طلب. للقوة، إلى جانب خصائصها السلبية، آثار إيجابية مثل الإنتاجية وزيادة المتعة والسعادة ومنح المعرفة وخلق الخطاب. (ويليامز: ١٥٣)

لدى فوكو مقولة شهيرة: «حيثما توجد قوة توجد مقاومة.» يمكن أن نستنتج من هذه الفكرة أن القوة والمقاومة تعملان كمعارضة ثنائية[1] لكن فى نظرياته اللاحقة، يستنتج أن «القوة لا تشكل المقاومة فحسب، بل المقاومة تقوى أو تبنى علاقات القوة أيضاً.» (ليلجا وآخرون: ١١١) يشير كريم إلى العلاقة بين القوة والمقاومة على أنهما قانون الفعل ورد الفعل الذى يقول إن لكل فعل ردٌّ فعل. تأتى القوة دائماً مع المقاومة (كريم وآخرون ٣٣) يعتقد البعض أن القوة هى نفس المقاومة المعكوسة، مما يعنى أن المقاومة تستخدم نفس تقنيات القوة أو السلطة. وكما ذكرنا، لدينا ثلاثة أنواع من القوة، كل منها يواجه نوعاً من المقاومة. وكما يشير فوكو فى مقال الذات والسلطة، نرى أمثلة على العلاقة بين القوة والمقاومة فى المواجهة بين الرجل والمرأة، والآباء والأولاد، والطبيب والمريض، وما إلى ذلک. ويمضى ليوضح ثلاثة أنواع من الصراع؛ الصراع على السيادة العرقية والاجتماعية والدينية، والصراع ضد استغلال الأفراد، والنوع الثالث ضد الموضوعية والانقياد. (المصدر نفسه ٧٨١)

وفقاً لنظريات فوكو حول السلطة، نحاول شرح جوانب من القوة (السلطة) والمقاومة

1. binary opposition

فى عمل أحمد شـوقى وإظهار تأثيرها على العلاقات بين الشـخصيات وتشكيل معنى ومفهوم العمل.

الصراعات السياسية

تسـبب وجود الرومان فى مصر فى استياء الناس من جهة، ومن جهة أخرى استقر أنطونيو مع قواته فى مصر. على الرغم من أن علاقة أنطونيو وكليوباترا ليسـت قائمة على القوة، إلا أن مشاعرهما تجاه بعضهما بدت جميلة فى أعمال شوقى. نقرأ فى أبيات مختلفة استياء الناس من وجودهم فى مصر؛ فمثلاً يعبّر الكاهن عن رأيه فى ملوك روما ومصر على النحو التالى:

ايزيـسْ كيـفَ أُصلّـى على ابن يوليوس قيصرْ؟
أبـوه عـالٍ ولكـنْ فرعـونُ أعلـى وأكـبرْ

على الرغم من أن علاقة أنطونيو وكليوباترا لا تستند ظاهرياً إلى القوة أو السلطة، إلا أن شـوقى حاول تصوير علاقتهما على أنهـا قائمة على الحب، كما أنه من الممكن للمرء أن يحبّ بدون مشاكل سياسية؛ وهى وجهة نظر يمكن رؤيتها فى الشرق، ومع ذلك، فإن سـلوكه الذى يهين الرومان بشـكل غير معقول، يمكن أن يكون كردّ فعل منه على وجودهم فى مصر، وعلى نطاق أوسع يشكّل موقفه السياسى لا محالة. إن الرومان، من خلال وجودهم فى مصر وقسوة ملوكهم على الأرض التى سيطروا عليه بالقوة، وضعت المصريـين فى الجانب الآخر من هذه المعركة، وهم قد سـلكوا طريق المقاومة ضدهم.

ومع ذلك تشجع كليوباترا فى الصفحة ٣٨ من المسرحية، الناس على تناول الطعام المصرى بينما تحذّرهم من أكل الطعام الرومانى، لأنها تعتقد أن طعامهم يسبب الدمار والفساد.

مصرُ إن أوْلمتْ سَمَتْ بالأغانى درجـات وأسمت الأشـعارا
لا تَسـيروا على ولائم روما سَـرَفًا فى الفُسوق واستهتارا
كلما أولمتْ أساءتْ إلى العقـ ـل وجَرَّتْ على الحضارة عارا
ولقـد تجعـلُ النِّمـارَ نَدامـا هـا أسْـد العَرينةِ السُّـمَّارا

إنها لا تستطيع إخفاء الصراع بين (مصر) وروما، على الرغم من أن عشيقها رومانى.

ولكن كلامها ليس موجّهاً نحو أنطونيو ولا حتى الشـتائم التى تتفوّه بها، وفى كثير من المشـاهد تعبّر عن حبها له، وتصفه بالحبيب وتحـاول عدم مواجهته، لكن هذا الحب لا يمكن أن يمنعها من النشاط السياسى أو تغيير سلوكها السياسى تجاه الرومان.

أدّت تصرّفات وأقوال كليوباترا هذه، إلى قيام الرومان الذين يسـيرون على خطى أنطونيو فى مصر باتخاذ موقف ضدّه. فى الواقع إن اسـتياء كليوباترا من الرومان، وفى نفس الوقت علاقتها الغرامية مع أنطونيو، تشـكّل نوعاً من المفارقة يمكن مشاهدتها فى عمل أحمد شـوقى لتظهر الانصهار بين الثقافات الشـرقية والغربية. ومن خلال علاقتها بالرومان، القائمة على السـلطة، يمكننا أن نجد شـواهد لوجهة نظـر فوكو، حيث يقول «أينمـا توجد قوة توجـد مقاومة» ومن ثم يجب أن نرى مقاومة من جانب أنطونيو ضد مواقف كليوباترا المعادية للرومان؛ لكن هذا لم يحدث. يمكن الاعتقاد بأن أحمد شـوقى، مـن خلال إظهار عـدم رد فعل أنطونيو، يفرض الرؤية الشـرقية فى قضية الحب -أى التحرر من العلاقات الطبيعية فى المجتمع، بما فى ذلك علاقات القوة- على مسرحيته. لكـن الأمر لا ينتهى عنـد هذا الحد، بل هذه المرة أبدى القادة والجنود الرومان مقاومة ضد خطاب كليوباترا المعادى:

قائد رومانى (لزميله غاضباً):

أتسـمعُ ما تقول عَـدوُّ روما　　قد اجترأتْ على روما البَغى
أَتحـت لوائهـا وبجانبيهـا　　يخوضُ الحربَ من روما كَمى؟

الآخر:

غدًا تَلقى، وإن غدًا قريبٌ　　عقابـاً فى البلاد لـه دَوِى

يمكن مشـاهدة مثل هذه الأحداث والمشـاهد فى العديد من مقاطع هذه المسرحية، على سبيل المثال، فى مشهد حيث دعا أنطونيو الجميع إلى رفع أكوابهم لنخْب كليوباترا، تفوّهت كليوباترا بكلمات قاسـية ضد روما وشـعبه ما أغضب جنود أنطونيو فاتخذوا موقفاً عدائياً ضدّها.

كليوباتر :

علـى حُبـك أنطونيـو　　علـى الجيش على مصرا

قائد رومانى:

على روما

كليوباترا:

دَعــوا رومــا ولا تُجــروا لهــا ذِكْــرَا
فماأنطونيو ـــــــــمنها وإن كان ابنَهَــا البكْــرا
ولكــنْ تحــت أعلامــى يقودُ البرـــــّ والبحرا

القائد:

أحقٌّ ماركُ أنطونيو س مــن رومية تَبرا

تتحدث كليوباترا فى حضور أنطونيوس ضدّ روما، لكنه يكتفى ببعض الملاحظات:

كليوباترا (ضاحكة):

حبْرا، أعندكَ سِحْرٌ يشُل طاغوتَ رُوما؟
ويجْعَلُ النــاسَ فيها حِجــارةً ورُســوما؟

أنطونيو:

سيدتى لا تجرحى قُوَّادى
ولا تَنَالى بالأذى أجنادى
وقلِّلى السُّخط على بلادى

رداً علــى ذلك، تذكره كليوباترا بأنه لم يعــد رومانياً بل مصرى، ويقول أنطونيو إنه لا يوجد شــىء أكثر أهمية مــن رغباتها. وهنا يمكن اعتبار معاملــة كليوباترا لأنطونيو على أنها علاقة عاطفية شــرقية ومع ذلك، وإن يمكن اعتبار هذا الســلوك الذى جاء فى عمل شكسبير، تحت عنوان "أنطونيو وكليوباترا"[1]، بأنه استسلام لأنطونيو وخضوعه لســلطة كليوباترا ليكون غاية لمساعى كليوباترا فى طلب السلطة. من ناحية أخرى، لم يطعــه الجنود والقادة الرومان الذيــن كانوا يعلمون أن أنطونيوس لن ينتصر فى الحرب بدونهم، وبالتالى احتجوا مرة أخرى على حياده وســلبيته فى مواجهة الكلمات الحادة التــى أحياناً توجهه كليوباترا ضدّهم فاتخذوا موقفاً عدائياً ضده وضدّ ملكة مصر، وفى

1. Antony and Cleopatra

بقية المسـرحية، نرى أنهم لا يكتفون بالكلام فراحوا يخوضون حرباً ضدّها. فى الواقع، إن الكرامة الوطنية لم تحفظ، وعندما لا يرون أنطونيو يتفاعل – لأنه يرفض الاحتجاج وردّ الفعل بدافع الحب – اتخذ القادة مساراً مختلفاً، الأمر الذى دفعه إلى استدعاء قواته وحتى اتهامهم بالخيانة.

ولستُ أخافُ الدارعينَ وإنما أخافُ فُجاءات الخيانة والغدر

فى المشهد الثالث، يفتح أنطونيو فمه مرة أخرى للشكوى ضد كليوباترا، على الرغم مـن أن هذه المرة أيضاً، وفقًا لفوكو، لا يمكن اعتبار هذا العمل المؤلم الذى قام به، نوعاً مـن المقاومة ضد كليوباترا، ولكن من منظور حب شـرقى يمكـن اعتباره ملامة الحب والعاطفة التى يتحدّث بها على نطاق واسع عشاق الأدب الشرقى. على عكس أعمال شكسـبير التى يمكن الاستنتاج منها أنه بعد مؤامرات وخدع كليوباترا المغرية، لا يمكن اعتبار هذه الشكاوى من أنطونيو نوعاً من الحب، ولكنها نوع من المقاومة إزاء سلوك وأفكار كليوباترا التى فرضت عليه وهو كذلك وقع فى عاصفة حب لا يستطيع أن يفعل شيئاً سوى الشكوى والاستياء من ملكة مصر. يقول أنطونيو:

كانَ الملـوكُ عبيدى فصرتُ عبدَ الحسان
ولسـتُ أوَّلَ حُـرٍّ اسـتعبدتْه الغوانـى

.....

قدتُ الجحافلَ والبوارجَ قادراً ما لى ضعُفتُ فقادنى جَفناک؟

وفى المشـهد الأخير ذكر الجنود الرومان أن سـبب خيانتهم له، هو عدم حبه لوطنه ويتهمونه بخوض حرب مع بلاده بقيادة ملكة دولة أخرى.

جندى:

لا بل جنودُک لكن خانـوک حُباً لروما

آخر:

وما نَسُـوک عليهم تحت اللـواء زعيما

وبحسـب فوكو «حيثما توجد قوة، توجد مقاومة.»، يمكن أن نسـتنتج أن السـلطة التى مارستها كليوباترا على الرومان من خلال الإهانة والإساءة واتخاذ موقف متشدّد

ضدهم، يجب مواجهتها لا محالة.

باستخدام وجهات نظر فوكو حول السلطة، يمكن للمرء تفسير النقاط الخفية لهذا العمل. هنا الإمبراطور الرومانى فى علاقة عاطفية مع ملكة مصر ولا يجد نفسه فى موقف يتوجب عليه فيه بالضرورة الردّ على كليوباترا، لذلك يقوم جنوده بالردّ على السلطة التى تمارسها ملكة مصر، وهذا الردّ هو فى الواقع نفس المقاومة التى نتحدّث عنها. بعد هزيمة المصريين وأنطونيو على يد الإمبراطور وجنوده، أظهرت كليوباترا هذه المرة مقاومة ضد سلطة الإمبراطور. فى الواقع، بمقاومتها، منعت كليوباترا انهيار كبريائها وبلدها على حد سواء. ينتحر حتى لا يأسره الرومان ويزيد من إذلالهم. لذلك، يمكن تفسير انتحاره على أنه مقاومة فى هذا السياق الفكرى الغربى. وعلى النقيض من ذلك، يمكن فهم انتحار أنطونيو بشكل أفضل فى سياق شرقى. فى المقابل، إنه أراد أن يثبت مع موته شدة الحب لإظهار مدى ولائه لعشيقته وأنه عندما سمع بخبر وفاتها، لم يستطع الاستمرار.

أبى لا العزلَ خفتُ ولا المنايا
ولكن أن يسيروا بى سَبيا
أيوطَأ بالمَناسم تاجُ مصرٍ
وثَمَّت شعرةٌ فى مَفْرقيا؟

فى ما يلى، يمكننا فهم علاقة القوة بين الشخصيات الأخرى فى القصة بما فى ذلك العلاقة بين القيصر وأنطونيو. أخيراً، فى المسرحية، نرى الإمبراطور فى وضع أقوى. ينوى احتلال مصر بالاستيلاء على أرضها وممارسة السلطة على شعبه، فيواجه مقاومة من الجانب المصرى وأنطونيو نفسه، وفى النهاية لم تنفع المقاومة وباؤوا بالفشل. وأما مصير الشخصيات ونوع علاقتها، فهو متأثر بالجو السياسى والسلطة بمعناها السياسى. فلا العلاقة بين الحبيب وحبيبته، هى علاقة طبيعية ولا جنود أنطونيو عاشوا فى سلام فى مصر كما يعيش سفراء دولة بسلام وأمان فى بلد آخر. فى الواقع، لم تستطع العلاقة الحميمة بين أنطونيو وكليوباترا إحلال السلام، لكن القوة فى الخطاب السياسى المهيمن فى ذلك الوقت أدت إلى الصراع. على الرغم من أن أحمد شوقى كتب القصة فى

شـكلها المسرحى بعد قرون، شأنه فى ذلک شـأن العديد من الكتّاب، إلا أنه لم يستطع تحرير الشـخصيات من السـلطة. إذا افترضنا أن علاقات القوة كانت على هذا النحو خلال حيـاة كليوباترا، فيمكننا أن نتوقع من الكاتب تشـكيل العلاقات بطريقة مختلفة متأثرة بالأيديولوجية والخطابات فى عصره (أى، ربما تغيرت ظروف تلک الفترة). لهذا السبب، يكاد يكون من المحتمل أن الخطاب السياسى والثقافى والاجتماعى بين الشرق والغـرب خلال حياة الكاتب قد جعلـه ينقلب على عقبه ويكتب علاقات القوة بطريقة متوازنة ومتناغمة بنفس الخطاب.

الشرق والمرأة فى السلطة

إذا أسسنا الإسلام على الثقافة الشرقية، فيمكننا الإشارة إلى أنه على الرغم من أن الثقافة الإسـلامية منعت المرأة من تحقيق مكانتها بحكم تعريفها اليوم، فقد اقترنت إلى حد ما بوجود المرأة فى السـلطة. يمكن أن تمتد هذه القضية إلى ما قبل الإسـلام أيضاً. لأن كليوباترا نفسـها كانت على رأس السـلطة فى عصور ما قبل الإسلام – رغم أنها كانـت فى مصر وليس فى أرض عربية أو إسـلامية، ولكن الأمر على أى حال يرتبط بالثقافـة الشـرقية بأكملهـا – ومثل أى ملک وليس أقل من ذلـک كان لها التأثير فى الحكـم. خلال فترة المماليـک وما بعدها، حدثت العديد مـن التغييرات فى العلاقات الأسـرية. وكما يشير يوسـف، فى بداية حكمهم، كان الرجال يمثلون القدرة وكان كل شـىء تحت سيطرتهم، ولكن فيما بعد (فى القرن الخامس عشر) تغير هذا النمط. ويذكر أن أسـباب هذه التغييرات هى التغييرات فى هيكل الأسرة، والحد من تعدد الزوجات، وتلاشـى الفروق بين الجنسين. من ناحية أخرى، كان الطلاق أسهل بالنسبة للنساء فى ذلـک الوقت. (Rapoport 43-44) وعلى هذا الأسـاس يمكن أن نشـير إلى خديجة زوجة الرسـول (ص) ونسـاء زمانها اللائى كنّ يعملن فى التجارة. كما حكمت بعض النسـاء الأخريات بلادهن وأقاليمهن، مثل زنوبيا وشجرة الدار. كانت زنوبيا فى تدمر (سـوريا الحالية) فى أواخر الإمبراطوريـة الرومانية ويمكن مقارنتهـا بكليوباترا فى الجمال والقوة. يصفها غرانت علـى النحو التالى: لقد كانت المنافس الرومانى الأقوى

والأكثر مرونة والأكثر خطورة خرجت من مدينة تدمر الصحراوية (تادور). لم يستطع الرومان تحمّل تولّيها السلطة بعد أديناتوس الذى كان تابعاً لهم. لم يكن بالإمكان تحدى الإمبراطورية الرومانية من قبل حاكم طموح –كهذه الملكة– لكن زنوبيا أتيحت لها الفرصة لامتلاك جيش لا يقهر، والذى أطلق عليه ميشالوفسكى "العمود الفقرى" الذى كان دائماً قاسياً ضد المنافسين الرومان. (Breytenbach 55)

دافعت شجرة الدر أرملة سلالة الحكام الأيوبيين عن مصر فى القرن الثالث عشر خلال الحروب الصليبية. على عكس الغربيين الذين كانوا فى الماضى لم يقبلوا النساء فى السلطة، وضعها الشرقيون فى السلطة. والمهم أن دور المرأة كحاكم كان مقبولا لدى المجتمع أنذاك، وهذا لا يعنى أن لها مثل هذه السلطة فى جميع الشؤون الاجتماعية. بشكل عام، يمكن القول إنه على الرغم من أن النساء الشرقيات، كسائر النساء فى جميع البلدان، أقلّ حظاً فى التمتّع بالحقوق الفردية والاجتماعية والسياسية، ولكن إذا أتيحت لهنّ الفرصة للحكم، فلن يكون لدى المجتمع معارضة كبيرة لهذه القضية؛ على عكس ما واجهناه فى الغرب فى العصور الوسطى. فى أوروبا فى ذلك الوقت، أثار كون الملكة إليزابيث حاكمةً العديدَ من الاحتجاجات، وكان الناس والمثقفون دائماً يعتبرون وجودها تهديداً لأنفسهم وينظرون إليها بعين الريبة. وهكذا، من خلال إظهار كليوباترا كامرأة قادرة على التمييز بين الحب والعقل، والعلاقة السياسية والعلاقة الرومانسية والتمييز بين مصالح الوطن ومصالحها الشخصية، فإن أحمد شوقى يعبّر فى الواقع عن النظرة الشرقية للمرأة فى السلطة. ويمكن تسليم السلطة إلى امرأة فى حال أن يكون لديها قوة العقل والمنطق حتى تتمكّن من القيام بأشياء جادة بشكل صحيح. هذا، على عكس الفكرة القائلة بأن النساء بشكل عام كائنات عاطفية لا يمكنهنّ لعب الدور الصحيح فى المواقف الحرجة. صورة المرأة التى تقدمها التيارات الفكرية والثقافية للشرق صورة إنسانية عاطفية غير قادرة على إدارة شؤون هامّة وعليها البقاء فى المنزل وهذا أفضل مكان لها. الآن، وبهذه التفاصيل، كيف يمكن تبرير هذه الازدواجية فى الثقافة الشرقية؟ أى من يعتبرون أن المرأة تفتقر إلى الذكاء وقوة العقل، ومن ناحية أخرى، يشهد التاريخ فى بعض فتراته وصول المرأة إلى السلطة.

فى رأى الباحثين، يمكن تفسير هذا المهم بطريقة تجعل النساء فى ثقافتنا، على الرغم من اعتبارهنّ أشخاصاً لا يمكن تكليفهم بأمور مهمة، ولكن فى الثقافة السياسية، كان حضورهنّ مقبول وفى الواقع إن الخلفية الثقافية لفترة ما قبل الإسلام تديم وجودهنّ فى السياسة. وتعتقد هذه الخلفية الثقافية أن المرأة عندما تكتسب القوة، فإنها تصبح قادرة على استخدام عقلها وفكرها لتحقيق أهداف المجتمع. لذلک، على الرغم من أن المرأة لا تتساوى مع الرجل فى الأمور الأخرى، فمن الواضح أنها فى مجال السلطة مقبولة من قبل المجتمع بمستوى الرجل. وفقاً لهذه النقاط ومن خلال القراءة التاريخانية الجديدة، يمكن تبرير طريقة رسم وتقديم صورة مقبولة لكليوباترا فى السلطة وفقاً للخلفية التاريخية لوجود المرأة فى السلطة.

النتيجة

كما لوحظ، فى هذا العمل توجد علاقات قوة بناءً على ما قدّمه فوكو. وتأتى هذه العلاقات فى شكل منافسة بين البلدين وتشارک فى تكوينها العلاقات السياسية. كما أن العمل نفسه متأثر بالعلاقات بين السياسة والسلطة فى القرن التاسع عشر، أى عندما كتب شوقى مسرحيته. علاقة القوة هنا فى شكلها السياسى، هى صراع سياسى بين دولتين. من خلال استهداف الرومان، سعت كليوباترا إلى تشويه صورتهم وتحديد تفوق المصريين عليهم. وإن كانت اللهجة التى اختارتها كليوباترا للسيطرة عليهم لا تزال لفظية (أو ربما لأنها امرأة اختارت هذه السياسة لممارسة القوة) ولا تستخدم أساليب القوة الأشد قسوة. وهكذا فإن الوجه الآخر لهذه العلاقة، هو أنطونيو الذى لا يمكن تحديد دوره فى هذا العمل فى سلسلة علاقات القوة، لكن الجنود والقادة المرافقين له فى مصر، هم يمثّلون الجهة الأخرى المقاوِمة. عندما تُهزَم كليوباترا من قبل الإمبراطور، تدخل فى علاقة قوة أخرى، لكن هذه المرة يمارس الإمبراطور سلطته عليها. لذلک، تأثر هذا العمل بعلاقات القوة، وقد كتبه شوقى بنفسه متأثراً بنفس العلاقات التى شهدها زمانه، وكانت صورته عن المرأة فى السلطة ناتجاً عن آراء الشعب آنذاک حول دور المرأة فى المجتمع سواء كان فى الماضى أو الحاضر. لكن السياسة التى يختارها

الجنــود للمقاومة، كانت فى البداية محاولة الردّ لفظياً على مواقف الملكة والمصريين، ثم يحتجــون على موقف أنطونيو المحايد، وفى المرحلــة الأخيرة يخونونه ويهزمون مصر مع الإمبراطــور. فى الواقع، خلافًا لتفســير فوكو بأن مقاومــة المقاومة عادة ما تؤدى إلى الفشــل، فهذا ليس هو الحال هنا، لكن فى حالة كليوباترا وســيطرة الإمبراطور، يمكن القول إن مقاومة الملكة لم تؤد إلى النجاح بل جعلتها تبوء بالفشل. كان مصيره فى لعبة القوة تدمير نفسه بيده وعلاقات القوة التى دخل فيها أدت به إلى الانتحار. أخيراً، يمكن تفســير مقاومة الشخصيات بعدة أشــكال: مقاومة الجنود ضد هيمنة كليوباترا مقاومة عنيفة وواقعية، ومقاومة كليوباترا ضد الإمبراطور بذلک الشكل أيضاً (انتحارها).

من ناحية أخرى، يعتبر دور المرأة فى الســلطة فى هــذا العمل مهماً حيث صوّرها الكاتب على أنها شخصية وطنية تتمتع بالقدرة وكإمرأة قادرة على التحكم فى عواطفها وتســعى إلى إدارة عقلها ومشاعرها، بعبارة أخرى، تســعى لتحقيق التوازن بين الحب والعقل، وفى هذا الصدد، أعطى الكاتب صورة معقولة إلى حد ما لها كحاكم، بالنظر إلى وجود النساء فى مناصب السلطة فى الماضى.

المصادر والمراجع

اشرف نظرى، على. (١٣٩٠ش). «تصور فوكويى و پسافوكويى از قدرت" (المفهوم الفوكوى وما بعد الفوكوى للسلطة)». سياست. دوره چهل و يكم. العدد ٣. ص ٣٥١.

بهيان، شاپور. (١٣٨٩ش). «روش شناسى ميشل فوكو (منهجية ميشيل فوكو)». علوم اجتماعى. س ٤، العدد ٨. ص ١٥

شوقى، أحمد. لاتا. "مصرع كلئوباترا". لامک: لانا.

Barry, Peter. Beginning Theory: An Introduction to Literary and Cultural Theory. Manchester University Press, 1995. Page 175

Belsey Catherine, Critical Practice, (London: Metheum, 1980), Page 144.

Breytenbach, M. M. A Queen for All Seasons: Zenobia of Palmyra1 (Stellenbosch University). Page 55

Dean, Mitchell, 1999. Governmentality power and rule in modern society. London: Sage. Page 105 - 106

Foucault, Michel, 1978. The History of Sexuality: An Introduction. vol I. New York: Pantheon Books. Page 83-85

Foucault, Michel. The Subject and Power. The University of Chicago., 2011. Page 871.

Karim, M. M. Shariful. Interrogating Foucauldian Concept of Power/Knowledge in Shakespeare's the Tempest. Page 33.

Lilja Mona & Vinthagena Stellan. Sovereign Power, Disciplinary Power and Biopower: Resisting what Power with What Resistance? a School of Global Studies, University of Gothenburg, Gothenburg, Sweden Published online: 24 Mar 2014. Page 109-111-112-113

Nisbet, H.B et al., ed. the Cambridge History of Literary Criticism, Volume 9. Page 21

Rapoport, Yossef. Women and Gender in Mamluk Society: An Overview, University of Oxford. Page 43-44

Said, Edward (1994). 'Michel Foucault', Barry Smart (ed.), in: Michel Foucault, Vol. 2, London: Routledge.

Smart, Barry (1994). 'Rationality, Power, and Subjectivity', in Michel Foucault, Vol. 4, London: Routledge. Page 9.

Williams, Mukesh. New Historicism and Literary Studies. Page 153.